بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة ـ مجتمع خاص ـ في المجتمع الاكبر وبيئته *

إعداد أ . د . مصطفي بهجت عبد المتعال

ملخص

تتناول :

* مفهوم الجامعة " كمجتمع خاص " حيوي وبشري (كأسرة كبيرة) ، يخدم المجتمع الاكبر الذي يحتضنه .
* مسئولية التعليم ـ بعامة ـ في بناء وتكوين شخصية الانسان .
* مسئولية التعليم الجامعي ـ بخاصة ـ في استكمال وتصويب جهود مراحل التعليم الاساسي ، وعن اعداد وتأهيل الشباب لمتطلبات الحياة وسوق العمل ، علميا وفنيا وخلقيا .
* ابعاد مسئولية الجامعة كـ مجتمع خاص في المجتمع الاكبر وبيئته :

ابعاد تقليدية : تعليمية ـ بحثية ـ ثقافية

ابعاد اخري : البعد الانساني والاجتماعي ـ البعد الخدمي والتنموي ـ البعد الزمني أو التاريخي ـ البعد الجغرافي أو البيني ـ البعد الاخلاقي والتربوي .

* وتوصي بضرورة الاهتمام بالبعد الاخلاقي والتربوي ، نظرا لما أصابهما من تدني مؤخرا ، وكذا بالابعاد التقليدية مع التركيز علي الجوانب التطبيقية ، تفعيلا أفضل لدور " الجامعة في المجتمع " .

* ورقة قدمت الي المؤتمر ، وألقيت يوم ٢١ / ١١ / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر القومي السنوي السابع
مركز تطوير التعليم الجامعي
جامعة عين شمس

" الجامعة في المجتمع "

الجامعة ـ مجتمع خاص ـ في المجتمع الاكبر وبيئته *

إعداد أ . د . مصطفي بهجت عبد المتعال

لا شك أن الجامعة ـ كمؤسسة حيوية ـ تعتبر " مجتمع خاص " في ذاتها . مجتمع بشري ، يتعايش مع كل مقدرات " المجتمع الاكبر " الذي يحتضنها وبيئته . مجتمع خاص ، له خصوصياته ، ومميزاته ، وواجباته ، ومسئولياته ازاء " المجتمع الاكبر " وبيئته الذي يحتضنها وتخدمه ، وتفي باحتياجاته المتزايدة . وبالمثل ، وفي مقابل ما تقدمه الجامعة من خدمات ، وليس بالضرورة كمقابل ، فلها علي المجتمع الاكبر حقوق ، وعلي ذلك المجتمع واجبات ومسئوليات نحو الجامعة . وبالتالي هي واجبات وحقوق متبادلة بين كل من الجامعة ـ كمجتمع خاص ـ والمجتمع الاكبر وبيئته .

والجامعة ـ كمجتمع خاص ـ ليست مجرد مؤسسة أو مكان أو مقر لتحصيل العلم والمعرفة ولنشرهما كما هو مشهود لها ، أو للبحث العلمي ولتنمية العلوم والمعارف كما هو مفروض عليها ومتوقع منها .

ولا أعني بهذا أن أقلل بأي حال ، من الأهمية البالغة لتلك الوظائف الجامعية التقليدية اذا صح التعبير . ولا أن أضعف ، بأي درجة ، من ضرورة وحيوية الوظائف الجامعية في خدمة المجتمع الاكبر وبيئته . كما لا أعني أن أحول دون اعطاء تلك الوظائف حقها كاملا في مداولات هذا المؤتمر وهذا الجمع الكريم . بل استأذن في الدعوة الي مداولتها بكل عناية واهتمام ، بجانب ما اقدمه في هذه الورقة تحت عنوان " الجامعة ـ مجتمع خاص ـ في المجتمع الاكبر وبيئته " . حيث أنني أزعم بأن الوظائف الجامعية في حاجة شديدة الي التغيير والتطوير ، الآن ودائما ، لكي تتناسب وتواكب المتغيرات العديدة المعاصرة ، وما

يصاحبها من تحديات جسيمة . وذلك ـ حتي تكون " الجامعة في المجتمع " وتصبح بحق ، أكفأ وأفضل ، ولكي تخدم بكل انشطتها مجتمعها الاكبر ليكون وبفضلها مجتمعا وبيئة أسعد وأرقي ، ولتحقق للبشرية عامة مستقبلا أزهي وأنقي ، ولكي لا تضل ولا تشقي .

ولا شك أن " التعليم " بعامة ، وخاصة التعليم المتميز ، في كل مراحله ، هو المسئول عن بناء وتكوين شخصية الانسان . وهو القادر علي دعم وتطوير ايجابيات شخصية أفراد المجتمع ، وكذا اكتشاف سلبياتها والعمل علي علاجها وتجذبها .

فالتعليم النظامي والاساسي بصفة خاصة ـ بجانب الاسرة أو العائلة الاصلية لكل فرد ـ هو ، في الواقع الحقيقي ، المسئول الاساسي عن سمات وقدرات شخصية أفراد المجتمع بعامة ، وأيضا عن اعدادها لمواجهة تحديات الحياة المستقبلية . وهو المسئول عن اكتشاف المواهب الكامنة في الافراد والعمل علي رعايتها وتنميتها ، وأيضا عن الايفاء باحتياجات الدارسين ذوي الظروف الخاصة ، وعلي اعانتهم وتعويضهم عن معوقاتهم ، وتمكينهم علي التكيف مع متطلبات الحياة الطبيعية ، أسوة بغيرهم المعوقين .

وهذه المسئولية . بكل ابعادها ، لا شك خطيرة وبالغة الاهمية ، وتستحق بجدارة اهتمامكم وحلولاتكم الجادة في هذا المؤتمر الموقر . وجميعنا يدرك بصدق ان هذه المسئولية تتعلق بتكوين قدرات وتهذيب سلوكيات وخصائص واخلاقيات المجتمع بأسره . وهذه السمات هي عماد المجتمع في واقعه الحاضر ورفاهيته في المستقبل . حيث ان العنصر البشري هو أهم عناصر التنمية ، فضلا عن أنه محور اهتمام كل جهود التنمية من أجل الرفاهية الاجتماعية والتقدم الاقتصادي ، فالمجتمع الاكبر هو الشعب ، أفرادا وجماعات ، متفرقين ومتجمعين . وليست خدمة وتنمية المجتمع ـ بالتعليم ـ الا بهدف الارتقاء بالشعب ورفع مستوي معيشته والعمل علي رفاهيته . وهذه رهن بالارتقاء بقدرات أفراد الشعب وامكاناته الخلقية والبيئية ، وخاصة بالعلم والمعرفة ، وبالخبرة والدراية ، وبالمران والتدريب المستمر .

ومسئولية التعليم الجامعي بخاصة ، بحكم أنه خاتمة مراحل

التعليم ، تفرض علي الجامعات بالضرورة مهمة وواجب استكمال وتصويب جهود جميع المراحل التعليمية السابقة . هذا فضلا عن مسئولية الجامعة عن اعداد معلمي كافة مراحل التعليم الاساسي العام ، ومسئوليتها التضامنية مع مسئولي التربية والتعليم في تطوير وترشيد تلك المراحل ، بجانب مسئوليتها ازاء توعية الاسرة بدورها الاساسي في تربية النشء وأفراد المجتمع .

كما أن التعليم الجامعي ، بصفة خاصة ، هو المسئول الاساسي عن اعداد وتأهيل الشباب لولوج سوق العمل . هذا فضلا عن اعداد الكوادر والمهمات اللازمة لتخطيط برامج التنمية بعامة ، وكذا الكوادر المهيمنة علي تنفيذها ، وايضا المستثمرين ورجال الاعمال الذين يتيحون فرص العمل الجديدة والمتزايدة والمثمرة . فتحقيق آمال الشباب ، وخاصة آمالهم التنموية والحياتية ، تتوقف علي كفاءة تأهيلهم علميا وفنيا وخلقيا وسلوكيا .

وخلاصة القول أن الجامعة ، والتعليم الجامعي بخاصة ، هو قاطرة التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية ـ أي التنمية الشاملة ـ لكل من أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم ، وللمجتمع بأسره . ووقود هذه القاطرة هو روح كل من يعمل بالجامعة وروح الشباب الذي يتعلمُ ويُتأهل فيها ويتخرج منها . أعني الروح الوثابة الجادة الملتهبة الي غد أفضل ، ومستقبل أرحب . وأحسب أن اداء الجامعات اليوم سوف ينعكس علي المجتمع غدا وفي المستقبل القريب والبعيد . ولا غرابة اذن في اعتبار التعليم بكل مراحله ضرورة أمن قومي ، جدير بكل ما ينفق عليه وكل ما يحظي به من اهتمام .

واستأذن بعد هذا التمهيد في أن أركز ، في بقية هذه الورقة ، علي الابعاد الهامة المترتبة علي رؤيتي المتواضعة للجامعة " كمجتمع خاص " في ذاتها . وأحسب أن لها ، بهذا الصدد ، أبعاد عديدة ومتشابكة . ويعزز ذلك ما تضمنته نشرة (مطوية) الدعوة لهذا المؤتمر الموقر من محاور عديدة وعددها ١٩ محور تحديدا ، لست في حاجة الي سردها علي حضراتكم .

وأسارع بالتنويه عن أهم تلك الابعاد ، وفق رؤيتي وخواطري المتواضعة . وأعني : البعد الانساني والاجتماعي ـ البعد الخدمي والتنموي ـ

البعد الزمني أو التاريخي ـ البعد الجغرافي أو البيئي ـ والبعد الاخلاقي والتربوي . هذا فضلا عن الابعاد التقليدية المتمثلة في البعد المعرفي والعلمي والثقافي ، والبعد الاكاديمي ، والبعد التطبيقي أو العلمي أو التكنولوجي ... الخ .

وأستأذن في ايضاح وبايجاز الابعاد الخمسة ـ سالفة الذكر ـ غير التقليدية ، حيث ان الابعاد التقليدية ليست في حاجة الي ايضاح من جانبي لحضراتكم .

وأبدأ بالبعد " الانساني والاجتماعي " للجامعة كمجتمع خاص . وأزعم أنه اهم مختلف الابعاد ومحورها الاساسي ، لارتباطه الوثيق بعنوان هذا المؤتمر الموقر فالجامعة مجتمع بشري وحيوي . كما أنها بيئة اجتماعية متميزة ، شأنها في كل ذلك شأن المجتمع الاكبر وبيئته .

فمجتمع الجامعة يضم كل من يعمل بها وكل من يستفيد من خدماتها وأنشطتها التقليدية ، ويتلقي ويرتشف من ينابيعها المعرفية والتعليمية والبحثية . فالجامعة تمثل اسرة كبيرة تضم الدارسين والباحثين ، من بنين وبنات مع المساواة بينهما ، ومع اساتذتهم من رجال ونساء . هذا فضلا عن أجهزتها الادارية والفنية والخدمية التي يعمل بها مختلف الفئات والتخصصات المهنية .

كما تضم اسرة الجامعة خريجيها ، وهم ثمارها ونتاجها ومخرجاتها البشرية . وهؤلاء يكونون ولا شك صفوة المجتمع الاكبر الذي يحتضن الجامعة . وهم أعلام المجتمع ورموزه ، وقاداته فكرا وعملا في مختلف وكافة القطاعات والاصعدة .

وتضم الجامعة ، كأسرة كبيرة ومجتمع خاص ـ بالاضافة الي مؤسساتها التعليمية والبحثية التقليدية والاساسية ـ تضم مؤسسات جامعية اخري عديدة ذات طابع خاص . وهي التي تخدم المجتمع الاكبر وبيئته وتفي باحتياجاته في مختلف المجالات ، وتسهم بما لديها من خبرات متخصصة في دراسة وحل مشاكله .

ومن أمثلة هذه المؤسسات الاخري التي أعنيها في هذا المقام مراكز البحوث بصفة خاصة ، وهي بمثابة مكاتب خبرة ذات مستوي رفيع . ومنها أيضا مراكز الخدمة العامة بأنشطتها الجماهيرية المختلفة والمتزايدة والمتجددة التي تتجاوز

أسوار الجامعة ... وكذا المعامل التعليمية وخاصة البحثية ، والورش الانتاجية المختلفة ، والمكتبات ، والمطابع ودور النشر والمستشفيات العامة والتخصصية ، والمزارع التجريبية والنموذجية ... الخ .

وعماد كل هذه المؤسسات هو العنصر البشري المتخصص الذي يعمل بها بفكره وعلمه وجهده . وهو العنصر الذي يتولي تطويرها وتنميتها لكي تسهم بدورها المتميز والمتخصص في منظومة الخدمات الجامعية المتجددة والمتزايدة .

وهذه المؤسسات هي التي تعكس وتجسد " البعد الخدمي والتنموي " للجامعة كمجتمع خاص ، وتوضح درجة التشابك بين هذا البعد والبعد الانساني والاجتماعي " السابق الحديث عنه .

أما عن البعد " الزمني أو التاريخي " ، فهو ما يعكس دور الجامعة كقاطرة التطور الحضاري والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والوطني للمجتمع الاكبر . فالجامعة مرآة صادقة لمجتمعها في كل عصوره ، وهي مرآة وعنوان للنهضة الوطنية ، وموطن ومشعل كافة الحركات والثورات الوطنية . وخاصة أنها صانعة الفكر ، وصانعة التاريخ ، وصانعة رجال ونساء مجتمعها ، وترعي اللغة القومية ، وتصون وتحمي التراث الثقافي والحضاري .

ولا يغرب عن بالنا وذاكراتنا ، علي سبيل المثال ، اسهامات الجامعة المصرية الاهلية في نشأتها الحكومية في حاضرها ، جامعة القاهرة الآن ، وأيضا جامعة الاسكندرية ومن قبل مكتبتها التاريخية التي يعاد انشاؤها حاليا . وجامعة عين شمس وارتباطها تاريخيا بجامعة " اون " وجامعة الازهر ومسجدها العتيد ... لا يغرب عن بالنا أو يعيب عن ذاكراتنا اسهامات كل تلك الجامعات عبر التاريخ في النهضة العلمية والحضارية الوطنية التي نعايشها في حاضرنا ونعمل علي الارتقاء بها في مستقبلنا ، ويجدر بنا في هذا المقام أن نترحم علي شهدائها الذين سقطوا واستشهدوا أو أصيبوا في خضم معاركها القومية والوطنية .

ويحين الآن الحديث عن " البعد الجغرافي أو البيئي " الجامعة كمجتمع خاص . وهو يقودنا الي ادراك حدود مجتمع الاقليم الذي تخدمه الجامعة ، وكذا الي هوية وتبعية كل من الدارسين والباحثين بها ، وأيضا جنسية وتبعية هيئات التدريس والعاملين الآخرين في مختلف مؤسساتها . هل ينتمي كل هؤلاء الي الاقليم والمجتمع الذي تقع فيه مؤسسات الجامعة أم يتبعون مجتمعات أقاليم أخري داخل الدولة أو مجتمعات دول عربية شقيقة أو غير عربية افريقية أو غربية ؟

وجدير بالذكر ، بهذا الصدد ، التوجه الحالي في التعليم الجامعي بخاصة ، نحو نشر التعليم والتعلم عن بعد ، وذلك من خلال الجامعات المفتوحة ، والجامعات الفضائية ، وبفضل التطور المبهر والمتسارع في تكنولوجيا الاتصالات وتكنولوجيا المعلوماتية وتكنولوجيا التعليم والانترنت .

والمتأمل في هذا " البعد الجغرافي أو البيئي " وفي الحدود بالنسبة لمجتمع أي جامعة (مصرية) يدرك أن خدماتها ليست قاصرة علي مجتمع الاقليم المحلي وبيئته فقط . بل ولم تكن كذلك في الماضي . فعهدنا في جامعات مصر انها تسهم دائما في خدمة وتنمية مجتمعات بعض البلاد العربية الشقيقة والافريقية وغيرها ، وخاصة تلك التي حرمت طويلا من اسباب وسبل التنمية .

فبين طلاب أي جامعة مصرية ، نجد طلابا وافدين من مختلف محافظات مصر ومن مجتمعات شقيقة وأجنبية . وقد بلغ عدد الطلاب الوافدين بالجامعات المصرية ما يعادل تعداد جامعة علي الاقل . ومن ابرز الامثلة ، بهذا الصدد ، مجتمع طلاب الأزهر الشريف وجامعته . فتاريخ الازهر وواقعه الحاضر يزخر بالبعوث الاسلامية من مختلف الدول ، ويعكس بوضوح ظاهرة الانتشار الجغرافي للعمل الجامعي في مختلف الدول الاسلامية . هذا بالاضافة الي امثلة فروع الجامعات المصرية المختلفة ـ خارج مصر ـ مثل فرع جامعة القاهرة بالخرطوم ، وفرع جامعة الاسكندرية ببيروت ، وبالعكس فروع بعض الجامعات الاجنبية المتواجدة حاليا بمصر . هذا فضلا عن بروتوكولات اتفاقات التعاون والتآخي بين جامعاتنا وبعض الجامعات الاجنبية العريقة .

ونذكر مع الفارق ، فروع جامعة اسيوط في مختلف محافظات الصعيد ، والتي كانت نواة لجامعات جديدة مستقلة تنمو وتتفرع الآن وحدها ، وكانت عاملا رئيسيا وفعالا في النهضة بصعيد مصر ، وفي تقدم وتطور نسيجها الاجتماعي ، وقد عوضته عما أصابه من اهمال حضاري في الماضي ولسنوات طويلة . وبالمثل نذكر جامعة قناة السويس وفروعها المنتشرة بطول وحول القناة وفي سيناء الحبيبة التي عمرتها ونهضت بها . ونذكر كذلك جامعة المنوفية التي عمرت مدينة السادات بفرعها الجديد ، وجامعة الزقازيق وفرعها في بنها ، وجامعة طنطا وفرعها في كفر

الشيخ ، وجامعة المنصورة وفرعها في دمياط ، وجامعة الاسكندرية وفرعها في دمنهور ، ناهيك عن جامعة الازهر الشريف وفروعها العديدة للبنين وللبنات ، والمنتشرة في معظم محافظات مصر .

وتضم هيئات التدريس والعاملين بالجامعات المصرية اساتذة من أقاليم مختلفة خلاف أقليم الجامعة المعنية ، وكذا اساتذة زائرين ومعينين من جنسيات اجنبية ، كما يسهم كثير من المصريين في العمل كأعضاء هيئات التدريس والباحثين بالعديد من الجامعات بدول شقيقة أو أجنبية معارين ومعينين ، وقد برز العديدون منهم ، حتي حصل أحدهم علي جائزة نوبل ، وكثيرون آخرون علي جوائز دولية رفيعة .

وينبغي الا ننسي ، بهذا الصدد ، دور البعثات الدراسية الخارجية ، والمهمات العلمية والدراسية بالخارج في تأهيل وتطوير قدرات اعضاء هيئات التدريس بجامعاتنا .

كل هذا يؤكد ويعكس عالمية العلوم والمعارف . فالنشاط الاكاديمي لا يعرف حدودا جغرافية ، بل يتصف بالديناميكية التبادلية . اذ يأخذ النشاط الاكاديمي ويعطي ـ من والي المجتمع العالمي بغير حرج أو حدود بل وبزهو وفخار . شكرا للدوريات والمطبوعات العالمية ... والتعاون الثقافي والبحثي ، والنشر الدولي ، والتدفق المعرفي ، والتبادل العلمي والثقافي ... والتي من خلالها يجري التوسع " الجغرافي أو البيئي " للانشطة الاكاديمية . وهذا ما اعنيه ، في هذا المقام بالبعد الجغرافي أو البيئي الممتد عالميا لمسئولية " الجامعة في المجتمع "

وأخيرا ، وليس آخرا ، أصل الي البعد " الاخلاقي والتربوي " لدور الجامعة كمجتمع خاص ـ في المجتمع الاكبر وبيئته . ولا يخفي عليكم ارتباط هذا البعد بالبعد " الانساني والاجتماعي " السابق التنويه عنه ، وبما ذكرته في التمهيد بهذه الورقة بشأن مسئولية التعليم عن بناء وتكوين شخصية الانسان وعن سمات وقدرات وتهذيب سلوكيات وخصائص واخلاقيات المجتمع بأسره . كما انه يرتبط ارتباطا وثيقا بالبعد التاريخي السابق ذكره ، وحقيقة أن الجامعات مرآة صادقة لمجتمعها في كل عصوره . فهي صانعة التاريخ من خلال صنعها لرجال ونساء